المحاضرة التاسعة : المعنى والإحالة عند فريجه

يقترح فريج لمواجهة المشكلات اللغوية أن نفكّر بالتعبير على أنه يمتلك جانبين دلاليّين وهما: المعنى والإحالة. أمّا معنى التعبير فهو كما عَرّفه فريج تمثيله التحفيزيّ الذي يحمل المعلومات في أسلوبه المميز. وبالتالي، فإنّ هذه المعلومات تحدد مرجعًا لكل تعبير. وهذا بدوره أدّى إلى انتشار مذهب جديد في الفلسفة التحليليّة ينادي بأنّ المعنى يحدد المرجع. وحلَّ هذا المذهب مشاكل الإحالة بتغيير التأكيد إلى معنى التعبير أولًا ثم المرجع فيما بعد. وعليه، فإنّ الجمل الموجودة المنفية تكون مفهومة لأن معنى تعابير مثل: الأرقام الكبيرة وأتلانتا يمكن تحليلها منطقيًّا أو توضيحها من حيث أوصاف أخرى حتى لو كانت الأشياء التي تنبئ بها هذه المعلومات فارغة وغير موجودة على أرض الواقع.

إنّ اعتقادنا بأن هذه الجمل والتعابير ذات معنى هو نتيجة فهمنا لمعانيها حتى مع إدراكنا لعدم وجود مرجع لهذه التعابير. وكما قال فريج: ‘‘يمكن أن نفهم وجود معنى للتعبير إذا صيغت صياغة قواعديّة سليمة وأُطلقت على اسم علم. أما فيما إذا كان هناك مدلول يقابل المعنى فهذا لم يقرّر بعد؛ حيث أنّ فهم المعنى لا يعطي فهمًا منطقيًا لمدلول يقابله. كما أصبحت كثرة المعلومات في جمل الهوية أكثر وضوحًا، فإنّنا في الجملة 5 نؤكد هويّة ذاتيّة لكننا في الجملة 6 نُعبِّر عن شيء ذو قيمة إدراكيّة حقيقيّة تحتوي امتدادات لمعرفتنا لا يمكن القول بأنها قبليّة. إنّ هذا ليس موضوعًا بسيطًا لصيغة منطقيّة مثل: أ=أ لكنه اكتشاف بأنّ معنيين مختلفين يحدِّدَان المرجع نفسه وهو يشير إلى روابط مفاهيميّة مهمة ويزودنا باستدلالاتٍ أكبر وينير مداركنا بطرقٍ عدّة. فحتى لو كان جبل كلمنجارو وأعلى جبال أفريقيا يرمزان إلى الشيء نفسه فإنه يزيدنا علمًا أن نتعلم هذا. وتعلُّم هذا يعزز فهمنا للعالم. وأشار فريج إلى أن التعابير التي تشترك في المرجع نفسه يمكن أن يعوّض أحدها عن الآخر دون أن تتغير قيمة الصدق في الجملة. فعلى سبيل المثال، يطلق اسمَا إيلفيس كوستيلو وديكلان ميكمونيوس على الشيء نفسه. فإذا كانت جملة ‘‘إيلفيس كوستيلو ولد في ليفربول’’ صحيحة فإنّ جملة: ‘‘ديكلان ميكمونيوس ولد في ليفربول’’ صحيحة أيضًا. وأي شيء نُنبّأ به عن

أحدهما نُنبّأ به عن الآخر ما دام الاسمان يُطلقان على الشخص نفسه.

وعلى الرغم من ذلك، أدرك فريج أنّ هناك سياقات محدّدة تفشل فيها هذه التعويضيّة أو على الأقل لا يمكن تعويضها. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تكون الجملة:

تعلم ليز أنّ إيلفيس كوستيلو ولد في ليفربول" صحيحة حتى لو كانت:

تعلم ليز أن ديكلان ميكمونيوس ولد في ليفربول" خاطئة، خاصّةً عندما لا تعرف ليز أنّ إيلفيس كوستيلو هو نفسه ديكلان ميكمينيوس أو أنّها لا تعلم عن الاسم شيئًا على الإطلاق. ماذا حدث هنا؟ لاحِظ أنّ الجملتين تتضمنان مجموعة الكلمات التي يمكن أن تكوّن جملة بذاتها: "ديكلان ميكمونيوس ولد في ليفربول" و"إيلفس كوستيلو ولد في ليفربول". إنّ عبارة: "ليز تعلم...." تعبر عن شيء ما حول هذه القضايا وهو موقف ليز تجاه هذه العبارات. أشار فريج إلى أنه في مثل هذه الحالات لا يكون مرجع هذه الجمل المضافة هو قيمة الصدق فيها كما هو معتاد وإنّما هو معنى الجملة ذاتها. فربما يفهم أحدهم معنى جملة ما ولا يفهم الأخرى لأن الجملتين تتنوع في قيمة الصدق. سمّاها فريج سياقات غير مباشرة وسيلقبها كوين بالسياقات الكبيرة.

التطور في آراء فريج عند فلاسفة اللغة:

استبدل رودولف كارناب مصطلح المعنى بالتضمن والمرجع بالامتداد وأصبحت بذلك مصطلحات كارناب شائعة في التحليل الشكليّ في علم الدلالة بحلول خمسينات القرن المنصرم، رغم أن رؤية فريج هي التي كانت الرائدة في هذا المجال. وعلى الرغم من ذلك، فقد بقيت هناك أمور مُقلِقَة حول مفهوم فريج للمعنى؛ إذ يندُر وجود أوصاف ثابتة معترف بها عالميًا للأسماء والتعبيرات الأخرى في اللغات الطبيعيّة كما هو الحال في المعنى عند فريج. ربما يردُّ فريج بأنه ليس لديه نية لجعل المعنى قضيّة رأي عام أو انتظام سيكولوجيّ، إلا أن هذا يجعل حالة المعنى أكثر غموضًا بالإضافة إلى قدرتنا على فهم المعنى. سيبذل الفلاسفة التحليليّون جهدًا كبيرًا لأجل أن يكون هناك أوصاف معترف بها لتلك

التعابير في تلك اللغات. لقد أعاد فريج رسم خريطة الفلسفة؛ إذ وضع أرضيّة خصبة للتساؤل الفلسفيّ بتقديم المعنى كنقطة تركيز للتحليل. لم تكن المعاني كيانات سيكولوجيّة لأنه يمكن الوصول إليها من قبل المتحدثين وهي ذات بعد معياري وهو كتابة الاستخدام الصحيح لها بدلًا من وصف الأداء، ولا هي ميكانيكيّات للعلم الطبيعيّ مما يجعلها تنحدر إلى تفسيرات نظمٍ قانونيّة. وإنما المعاني كيانات تلعب دورًا منطقيًّا وإدراكيًّا يكونان مُوضّحين للمحتوى المفاهيميّ وعالميين عبر اللغات الطبيعية؛ إذ أنّها ليست كالتفاصيل التجريبية لعلم اللغة والأنثروبولوجيا. وهكذا، كان على الفلسفة أن تتعهد مشروعًا منفصلًا عن العلوم الطبيعيّة وهو التحليل المنطقيّ للتركيب العميق للمعنى. ورغم أنه سيتم التأكيد على اهتمامات العلوم الطبيعيّة في تطور الفلسفة التحليليّة إلّا أن مشروع فريج قاد الفلسفة الأنجلوأمريكية في معظم القرن العشرين.